﴿ الوطنية والمرأة العثمانية ﴾

زارنا صديق اشتهر بغيرته الوطنية وصدق محبته للدولة العلية العثمانية فبعد ان مدح خطة مجلتنا بما شاء حسن طبعه وكرم اخلاقه جرى بيننا وبينه حديث على الرسالة المندرجة في الجزء السادس من مجلتنا هذه بتوقيع السيدة كاترين اصطفان ناظرة المدرسة الوطنية فشكر حضرة الكاتبة المشار اليها كما شكرناها نحن لكون مقالتها قد فتحت لنا هذا الحديث المهم بيننا وبين حضرته وهو حديث تنشر خلاصته آملين ان ما ذكره ونذكره نحن يؤثر تأثيره المطلوب في اذهان الوالدات الوطنيات فيكون سبباً مهماً لنجاح وطننا العثماني المحبوب ووسيلة كافية لنشر الاداب والعلوم بين نساء ممالك دولتنا المحروسة

فقد قال حضرته ان ما ذكرته السيدة المشار اليها من ان لا مدرسة للطفل احسن من امه وان على الام تتوقف مدنية الدنيا وتقدمها لهو قول لا شك فيه ولا جدال عليه لان الدنيا كلها تعتبره وجميع العالم المتمدن يجري بحسبه ومن اجل ذلك نجحت الامم التي سارت بموجبه وكان نجاحها عظيماً يقتضي المسارعة الى تحصيله والمسابقة الى تقليدها فيه

واخص الامم التي يجب لها العناية بهذا الشان المهم هي امتنا العثمانية التي نأسف لان ابناءها لا يزالون الى الان محرومين فائدته بعداء عن نيله والانتفاع به مع ان المرأة العثمانية وافرة العقل كثيرة الاستعداد لتعلم كل ما يلقى اليها واحراز جميع ما يطلب منها اذ هي ليست باقل قدرة على تحصيل

العلم واقتناء المعارف من جارتها المرأة الغربية

الا ان حضرته اسف مع ذلك لان المرأة العثمانية الشرقية اذا كانت غنية او متوسطة بين الغنى والفقر فانها حين تلد تبعد ولدها عنها وتلتمس له المرضع الاجنبية ثم متى نشأ واخذ يقتبل الدنيا تلتمس له المربية الافرنجية ثم لا تعود تعرف من امره وشؤون تربيته وسير اخلاقه شيئاً سوى ملاطفته بما يسوق اليه حنو الام ومحادثته باللغة الافرنجية التي يكون قد الفها من مرضعه ومربيته

ومن اجل ذلك نجدنا اذا التفتنا الى اولاد وطننا الذين نرجو منهم المعونة على رفع شان الوطن وان يكونوا ابناء الغد ورجال المستقبل فلا نجد احداً منهم يتكلم بلغة امه وابيه بل لغة وطنه القديم الشائعة بين آبائه واجداده بل هو اذا تكلم بها فانما يكون ذلك بما تعلمه اضطراراً لمعاملة الناس والاشتغال معهم ولكنك اذا كلفته مقالاً يكتب او كلاماً ينشر لما استطاع ان يخط منه حرفاً على قرطاس بل لم يستطع ان يخط توقيعه على سفتجة وهو نهاية ما يؤسف له ويطلب المسارعة للاقتداء من اجله

ثم ان الامر لا يقف عند هذا الحد فانه مما يمكن ان يخرج معه الغلام عارفاً بوطنه على الاقل ولكن الكثيرين لا يكتفون حتى يضعوا اولادهم في مدارس الاجانب حيث لا يفقدون هناك لغة وطنهم فقط بل يفقدون وطنهم ويخسرون الجنسية وماهية الائتلاف مع مواطنيهم لانهم لا يدرسون في تلك المدارس الا محبة الدولة التي تنتمي اليها كل مدرسة منها حتى اذا ترعرع الغلام وصار رجلاً يتهيأ الوطن لقبوله ويستعد مواطنوه لادخاله في مصافهم وتبتهج دولته بانها رأت منه رجلاً جديداً بين ابنائها يزيد في مجدهم

ويكثر عددهم لم يجدوه كلهم الا صورة وطنية فقط ولكنها خالية من روح المحبة بريئة من عاطفة الوطنية الحقيقية فتكون حاله تلك لاخسارة اصابت الامة والدولة فقط بل عداوة جديدة نشأت لهما لانه قد شب يعرف غير دولته ونشأ متكلماً بلسان غير لسانه وهي حالة ليس امر على الوطنية منها ولا اكثر ايلاماً منها لرجال الوطن وابنائه

ولا يخفى ان المرء متى فقدت من صدره المحبة الوطنية فقد فقدت منه ولا شك محبة دولته والرغبة في خدمة سلطانه وولي امره فلا يعود من ثم مايدعى بالاتحاد الوطني والائتلاف الجنسي فتتضعضع من جراء ذلك احوال المملكة بالتدريج ويصبح من العسير رد مافات ولو بالجهد الكثير

ثم قال حضرته بعد ذلك وليس هذا الشأن منحصراً بالطوائف الغير المسلمة التي قد يكون لها بعض العذر في مشاركة المذهب والانتماء وانما هو قد تناول ايضاً نفس المسلمين وسرت عدواه اليهم ولا سيما رجال الغنى واليسار منهم الذين كان يجب عليهم ان يكونوا قدوة محبة واخلاص وطني لسواهم فاصبحوا نموذج سوء وفساد يجري الفقير فيه على أثرهم ويتتبع خطواتهم وهو شأن لانشاهده بالاطلاق عند الامم الغربية التي نحب تقليدها واتباع عاداتها فانه مامن عائلة ايطالية او افرنسية مثلاً اتخذت لاولادها مرضعاً من غير جنسها او اختارت لهم مربية من دون امتها حتى ان تلك العائلات لو فارقت اوطانها وهجرت مساقط رؤوسها الى حيث يضطر الانسان لان يجري على طريقة البلاد التي سكن فيها فانها لا تلبث ان تؤسس لانفسها مدرسة اساتذتها من ابناء جنسها وكتبها من نفس لغاتها حتى ينشأ اولادهم محبين لوطنهم عارفين به ولو كان بعيداً عنهم بل لقد نجد الفرنسوي الذي يولد في غير ارضه الفرنسوية ولا

يعرف من فرنسا ولا حالها شيئاً شديد التمسك ببلاده كثير الاعتداد والتشرف بها كل ذلك بما لقنته اياه المدرسة والقته اليه امه ومرضعه التي تكون من جنسه على تمام المخالفة لنا نحن فان الواحد من ابناء اغنيائنا ينشأ في نفس بلادنا ويعيش بين مواطنينا واخواننا ولا يكون قد رأى من بلاد الاجانب عيناً ولا اثراً ولكنه مع ذلك ينشأ وعاطفة الوطنية مفقودة من فؤاده والاتحاد الشعبي زائل من صدره فلا يعرف سلطانه المعرفة الواجبة ولا يحب ولي امره الا بالاضطرار والاخلاص لا يكون اضطراراً ولا تكون الوطنية بالاجبار

ثم قال حضرته ان كل هذا الخطب العظيم الملم الان بالشرق انما هو داء لا شفاء له الا بالامهات ولا دواء لعلاجه سوى شدة العناية ودوام الالتفات الى المرأة الشرقية والسعي في تهذيبها حتى تستغني عن غيرها وتربي ولدها بنفسها فهي متى دخلت المدرسة الوطنية وهي فتاة تعلمت هناك لفظة الوطن ونشأت على محبته ومحبة سلطانه وحكومته فصارت لا يحلو لها الا وطنها ولا تتعصب لسواه ثم تتزوج بعد ذلك فينشأ ولدها مثلها بالطبع والخلق من جهة وتنشئه هي بالصناعة والتعليم من جهة اخرى فيكون وطنياً صادقاً مثلها فتكتمل بذلك هيئة الوطن ويتم نظامه وشروطه

انتهى حديث هذا الفاضل بمعناه وقد كلفنا ان ننشره في مجلتنا هذه فنشرناه شاكرين له صدق وطنيته وخالص محبته لبلاده وامته راجين قارئي هذا القول من اولي الحكم وسواهم ان يتدبروه بالتمعن والاستبصار خشية الوصول الى ما انذر به حضرته وهو اضمحلال الوطنية وعفاء آثارها من بلادنا فيما لا يكسبنا شيئاً بالاطلاق بل كله لنا خسارة محضة يعقبها الندم

الصريح لان اولادنا اذا خرجوا يحبون الدول الاجنبية ويكرهون وطنهم المحبوب فان تلك الدول لا تقبلهم من رعاياها ولا تحميهم ساعة مكارههم ومضايقهم حتى ان الواحد منا لو خرج وطنياً فرنسوياً مثل غامبتا ومخلصاً انكليزياً مثل سالسبوري لما قبلته هاتان الدولتان ولا وثقتا منه بنصح ولا اخلاص فيخرج محروماً ما امل من وطنيته الجديدة خاسراً وطنيته القديمة فيكون والحيوان سواء لا وطن له الا حيث يستقر ولا مرجع له في حالة من حالاته وبئست المعيشة والدنيا على هذه الحال

* * *

اقتراح

لجوائز الفضل والادب في مجلات العلم وسواها عند الاوربيين شيوع كثير ولهم عليها اقبال عظيم ولها في النفوس تأثير كبير وذلك لما يلتقي فيها من طرفي المنفعة التي ينالها ذو الجائزة بالخصوص وشهادة الفضل والادب التي ينالها في سبقه بالعموم فهي على كل حال ذات نفع عظيم من جهة الادب والمال

اما في بلادنا فلا ينكر ما يكون فيها من النفع الادبي لانها تدل على رجال الفضل بل تنشئهم احياناً بما يتولد فيهم من الغيرة والاستباق على احراز الشهرة التي هي كل قصد الاديب وغاية جهد الفاضل . اما النفع المادي فنأسف لانه لا يمكن عندنا الان ان يتم على الصورة التي تم بها في